لعازر عام ١٩٦٢

الى اورخان ميسر

وذهبت مريم اخت لعازر الى حيث كان يسوع الناصري وقالت له : لو كنت هنا لما مات اخي . فقال لها ان اخاك سوف يقوم .

انجيل يوحنا

— ١ —

عمّقِ الحفرةَ يا حفّارُ ، عمقها
لقاعٍ لا قرارْ
يرتمي خلف مدار الشمسِ
ليلاً من رمادٍ ،
وبقايا نجمة مدفونة خلف المدارْ ،
لا صدى يرشح من دوامة الحمّى
ومن دولابِ نارْ
آهِ لا تلقِ على جسمي
تراباً أحمراً حيّاً طري
رَحِماً يمخرُهُ الشرشُ
ويلتفُّ على الميتِ بعنفٍ بربريْ ،
ماترى لو مدَّ صوبي رأسهُ
المحمومَ ، لو غرَّق في لحمي نيوبَه
من وريدي راح يمتصُّ حليبَه
لُفَّ جسمي ، لفَّه حَنِّطْه واطمرهُ
بكلس مالحٍ ، صخرٍ من الكبريتِ
فحمٍ حجريْ .

*

صلوات الحب يتلوها صديقي الناصري
أترى تبعث ميتاً ، حجّرته شهوة الموتِ ،
ترى هل تستطيع ،
أترى تنفضُ عني عتماتٍ من ركامِ
الموت في قبري المنيعْ ؟
رحمةٌ ملعونة أوجعُ من حمّى الربيع
صلوات الحب يتلوها صديقي الناصري .

*

كيف يحميني ليرضي خاطر
الاخت الحزينَه
دون أن يمسح عن جفنيَّ
حمّى الرعب والرؤيا اللعينه :
لم يزل ما كانَ من قبلُ وكانْ
لم يزل ما كانَ : برقٌ يتلوّى ،
فوق رأسي ، أفعوانْ ،
شارعٌ تعبره الغولُ
وقطعان الكهوف المعتمه
ماردٌ هشّم وجه مشمسٍ
عرّى زهوها عن جمجمه
عتمةٌ تنزف من وهْج الثمار ،
أَلجماهير التي يعلكها
دولابُ نار ،
وتموت النار في العتمةِ
والعتمةُ تنحلُّ لنار

*

أنبتِ الصخرَ ، ودعنا نحتمي
بالصخر من حمّى الدوارْ ،
سمِّرِ اللحظة عمراً سرمديّاً
جمِّدِ الموج الذي يبصقنا
في جوف غول ،

إن تكن ربُّ الفصول
واذا صوتٌ يقول :
« عبثاً تلقي ستاراً أرجوانياً »
« على الرؤيا اللعينه »
وبكت نفسي الحزينه ،
كنت ميتاً بارداً
يعبر اسواق المدينه ،
الجماهيرُ التي يعلكها
دولابُ نار
مَن أنا حتى أردَّ
النار عنها والدوار
عمّقِ الحفرةَ ، يا حفّار عمّقها
لقاع لا قرارْ

— ٢ —

زوْج لعازر بعد اسبوع من انبعاثه :

كان ظلاً أسوداً يغفو
على مرآة صدري
زورقاً ميتاً
على زوبعة من وهج نهديَّ وشعري
كان في عينيه ليل الحفرة الطينيُّ
يدوي ويموج
عبر صحراءَ تغطيها الثلوج
عبثاً فتّشتُ فيها عن صدى صوتي
وعن وجهي وعينيَّ وعمري .

*

كان من حين لحينٍ
يعبر الصحراءَ فولاذٌ محمّى
خنجرٌ يلهث مجنوناً وأعمى
نَمِرٌ يلسعه الجوعُ فيرغي ويهيج
يلتقيني عَلَفاً في دربهِ ،
أُنثى غريبه
يتشهّى وجعي
يُشبع من رعبي نيوبَه ،
كنتُ أسترحم عينيه
وعارُ العري في وجهي
كأني امرأة عرّيتُ جسمي لغريبْ .
ولماذا عاد من حفرته ميتاً كئيب
غير عرْق ينزف الكبريتَ
والحقد الرهيب ؟

*

جارتي يا جارتي
لا تسأليني كيف عاد ،
عاد لي من غربة الموت الحبيب ،
حجر الدار يغنيِّ
وتغنّي عتبات الدار والخمرُ
تغنّي في الجرارْ
وستار الحزن يخضرُّ
ويخضرُّ الجدارْ
عند باب الدارِ
ينمو الغار ، تلتمُّ الطيوبْ
ينبع المرج ويمتدُّ دروب
عاد لي من غربة الموت الحبيب
زنده من بيلسان حول خصري
زنده يزرع نبضَ الوردة الحمرا بعمري
بعد ان رمّدَ في ليل الحداد ،
من يظنَّ الموت محواً خلّبهِ يحصي
على البيدر غلات الحصادْ
ويرى وجه حبيبي
وحبيبي كيف عاد ،
عاد لي من غربة الموت الحبيب

*

(كنت أسترحمُ عينيهِ وعارُ العري)
(في وجهي)
(كأني امرأةٌ عرّيتُ جسمي لغريبْ)
(ولماذا عاد من حفرته ميتاً كئيب)
(غير عرْق ينزف الكبريتَ)
(والحقد الرهيبْ)

خليل حاوي